وزارة التعليم العالي

والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية العلوم الاسلامية/قسم التفسير وعلوم القرآن

مادة الأعجاز القرآني

الفصل الثاني

مدرس المادة:أ، د.فرمان إسماعيل إبراهيم

المحاضرة الأولى

وجوه الإعجاز

للعلماء في وجوه الإعجاز أكثر من مذهب ، يرى بعضهم أن القرآن معجزة لغوية بيانية فحسب ، وذهب أكثرهم إلى أن القرآن معجز من أكثر من وجه.

ومن الوجوه التي ذكروها :

١- الإعجاز بالنظم
٢- الإعجاز بالأسلوب .
٣- الإعجاز بعدم التناقض .
٤- أخبار الماضي .
٥- أخبار المستقبل .
٦- الإعجاز التاريخي .
٧- الإعجاز الأخلاقي .
٨- الإعجاز النفسي .
٩- الإعجاز الروحي .
١١- الإعجاز التشريعي .
١٢ الإعجاز العلمي .
١٣- الإعجاز العددي .
١٤الإعجاز التربوي .

إلى غير ذلك مما عددوه ، ولكننا نجد أن كثيرا من هذه الأوجه يندرج مع غيره ، فالإعجاز الخلقي والتربوي يمكن أن يندرج في الإعجاز التشريعي ،

والأسلوب والنظم نستطيع أن نجعله كله في باب واحد وهو الإعجاز البياني ،.
وعلى هذا فالأوجه التي سنتحدث عنها :

١- الإعجاز البياني .
٢- الإعجاز العلمي .
٣- الإعجاز التشريعي
٤- أنباء السابقين وأخبار المستقبل .

.

الفصل الأول : الإعجاز البياني

أهمية الإعجاز البياني :

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم الإعجاز البياني ، لأنه يشمل سور القرآن الكريم كلها ، فهو عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها ، بل هو في كل آية – تكون على مقدار السورة القصيرة – أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك ، فأنباء الغيب مثلا ليست موجودة في كل آية من القرآن ، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي ، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها ، والإعجاز البياني إنما يرجع في لبه وجوهره إلى النظم و نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم على النظم : ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة ، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى ، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة ، وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته ، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بعد أن تفسر لهم. فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه { وارزقوهم فيها واكسوهم] [النساء : ٥] اختيرت فيه كلمة (في) على كلمة (منه) لأمر اقتصادي ، وهو أن رزق أولئك ينبغي أن يكون مما تنتجه الأموال ، لا من أساسه ورأسه ، فإن غير العربي يمكن أن يعرف هذا حين تفسر له معاني القرآن .

الكلمة القرآنية وقيمتها عبر العصور :-

وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع ، والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة ، والنظام المطلوب ، تحركت الآلة . وإلا ظلت جامدة .

قيمة الكلمة في العصور السابقة :-

ولا عجب أن نجد العرب في عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم في اختيار هذه الكلمة والبحث عنها وانتقائها

من ذلك ما يروي عن حسان حينما أنشد :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ..... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقيل له : لو قلت : (يسطعن في الدجى) بدلا من يلمعن ، ولو قلت : (يجرين) بدلا من يقطرن لكان أولى.

فإذا تجاوزنا العصر الجاهلي وجدنا ذلك واضحاً في العصر النبوي من ذلك: نبينا محمد – ﷺ – وهو يوجه الصحابة رضوان الله عليهم – ومن بعدهم الى مكانة الكلمة فيقول : (ولا يقولن أحدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقسِت نفسي) متفق عليه واللقس: الغثيان.

وفي العصر الاسلامي ، كان للكلمة منزلتها كذلك ، قال ابن الأثير: ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة (الغصن) ولفظة (العُسلوج) وبين لفظة (الأسد) ولفظة (الفَدَوْكَس) ، فلا ينبغي أن يخاطب ، ولا يجاب بجواب

خصائص المفردات القرآنية :

وإذا كان هذ افي كلام الناس ، فهو في كلام الله المتناهي في البلاغة أكثر وضوحاً وأشد ظهورا ، يقول الإمام ابن عطية - رحمه الله تعالى : وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد .

القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية :

إن اختيار الكلمة القرآنية مع ما لها من قيمة بيانية نجد فيها قيما كثيرة قد تكون اقتصادية كما مر معك في قوله { وارزقوهم فيها واكسوهم] (النساء : ٥] وقد تكون تاريخية كما في قوله { وأغريعنا بينهم العداوة والبغضاء] [المائدة : ١٤] كما ستعرف فيما بعد ، وقد تكون علمية، وذلك كما نرى في قوله سبحانه إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت] [التكوير : ٢.١] ، وفي آية أخرى {إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت } [الانفطار: ٢,١] ألا ترى أن القرآن استعمل كلمتين اثنتين ، فبجانب النجوم ذكر الانكدار وبجانب الكواكب ذكر الانتثار ، ولما كانت النجوم مضيئة كانت الكلمة التي تلائمها وتناسبها ، ما ذكره القرآن الكريم (الانكدار) ، ولما كانت الكواكب ليست كالنجوم وإنما هي أجسام صلبة غير مضيئة بذاتها كانت الكلمة التي تناسبها (الانتثار) لأنها تتحطم أجزاؤها وتتناثر

من هنا كانت كلمات القرآن الكريم مقدرة خير تقدير ، معبرة أصح تعبير وأصدقه فاختيار الكلمة في موضع دون آخر ، وتقديمها في موضع دون آخر وذكرها في موضع دون آخر ، كل ذلك إعجاز كما سنطلعك عليه إن شاء الله تعالى.

أولا : دعوى الترادف في القرآن الكريم

الترادف هو تعدد الألفاظ مع اتحاد المعنى ، ،وهو غير المشترك لأن المشترك اتحاد اللفظ وتعدد المعنى وقد بحث العلماء هذين النوعين ، ولهم أبحاث قيمة ، أما قضية الترادف فلقد تحدث عنها أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية ، وابن فارس في " الصاحبي " والسيوطي في " المزهر " وكثير من المحدثين وكذلك قضية المشترك كتب فيها اللغويون والأصوليون ومن أوائل من كتب في المشترك المبرد ، فلقد كتب كتاباً بعنوان " ما اتفق لفظه واختلف معناه في كتاب الله

والذي يعنينا الآن قضية الترادف . والترادف عند مثبتيه أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد ويظهر أن الحديث عن الكلمات التي تبدو لأول وهلة أنها مترادفة ، وتلمس ما بين هذه الكلمات من فروق

فوائد تحديد معاني الكلمات :

ولقد كان لهذه الملحوظات وما يشبهها أثر غير خفي في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى فيما بعد ، فلماذا استعملت كلمة القيام في مثل قوله تعالى (فإذا أظلم عليهم قاموا } [البقرة : ٢٠] بينما استعملت كلمة الوقوف في مثل قوله سبحانه(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم].[وقفوهم إنهم مسؤولون } ؟ [الصافات : ٢٤ أولم استعملت مادة القعود كثيرا في كتاب الله في مثل قوله سبحانه { وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين } التوبة : ٨٦] { وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع] معا الجن : ٩] ، { والقواعد من النساء } (النور : ٦٠) ، على حين لم تستعمل مادة الجلوس إلا في آية واحدة { إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فانسحرا يفسح الله لكم } : المجادلة : ١١] ولم استعملت كلمة الفعل في آيات وكلمة العمل في آيات أخرى ؟ إلى غير ذلك من أبحاث شيقة مفيدة تحدد لكل لفظ معناه الذي لا يشترك معه غيره فيه .

ولا بد أن نقرر هنا أن عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية ، قد حرم الناس من فوائد كثيرة وحال بينهم وبين إدراك متكامل لمدلول الكلمة ونرى كثيرا من كتب التفسير والمعاجم اللغوية كانت سببا في ذلك كله حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على أن تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية ، فتشتبه المعاني ، وتختلط بعضها ببعض .

وإذا كان بعض العلماء يعد الترادف من خصائص اللغة ومفاخرها ، فإن كثيرين وقفوا من الترادف موقف السلبية والانكار ، وقد فطن بعض العلماء والباحثين لهذه القضية الخطيرة وما يمكن أن تحدثه من أثر سلبي في فهم المعنى وإدراكه فطرحوا قضية الترادف للبحث ، ولم يقتصر ذلك على الأقدمين فحسب ، بل تجاوزه إلى المحدثين كذلك.

لا ترادف في كتاب الله تعالى :

ولا يعنينا تفصيل هذه القضية هنا ، والذي نطمئن إليه ، وقد اطمأن إليه كثيرون قبلنا أن لا ترادف في كتاب الله تبارك وتعالى ، والكلمات التي ظنها بعض الناس مترادفة عندما تنعم النظر فيها ، نجد أن لكل معناها الدقيق ، واليكم طرفا موجزا نطلعكم فيه على بعض الكلمات التي يظن أنها مترادفة .

كلمات يظن أنها مترادفة :

١- الخوف والخشية :- لا يكاد كثير من الناس يفرق بينهما مع أن بينهما أكثر من فرق ،منها أن الخشية أعلى من الخوف وأشد منه . ولذا خصت الخشية بالله في كثير من الآيات ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] وفرق

بينهما أيضا بأن الخشية تكون من عظم المخشي ، وإن كان الخاشي قويا ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيرا . ويدل لذلك أن (الخاء والشين والياء) في تقاليبها تدل على العظمة نحو : شيخ : للسيد الكبير ، وخيش : لما غلظ من اللباس ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى (وإن منها لما يهبط من خشية الله} [البقرة : ٧٤] ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] . وهذا الوجه الأخير هو الذي اقتصر عليه الراغب الأصفهاني حيث قال : " الخشية : خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه " . ويرى السيد رشيد رضا - رحمه الله تعالى أن الخشية هي الخوف في محل الأمل ،

، فقوله سبحانه وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يشهد لما قاله صاحب المنار ، من أن الخشية خوف في محل الأمل ، ، ولا يتنافى مع ما قاله الراغب ، من أن الخشية : خوف يشوبه التعظيم ، .

٢- ومن الكلمات القرآنية التي يظن أنها بمعنى واحد هاتان الكلمتان : جاء وأتى . فالكلمة الأولى : تسند غالبا إلى الجواهر والأعيان ، بينما تسند الكلمة الثانية : إلى المعاني والأزمان . والمتتبع للآيات القرآنية يجد ذلك واضحا كل الوضوح ، قال تعالى : { ولمن جاء به حمل بعير] [يوسف : ٧٢] أي : بصواع الملك ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف: ١٨] ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ [الفجر: ٢٣] ، وقال تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١] ، ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: ٢٤] .

وقد اجتمعت الكلمتان في قوله تعالى في سياق قصة لوط - عليه الصلاة السلام- {قالوا : بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون } الحجر : ٦٣ - ٦٤] ، فالذي جاؤوا به العذاب ، وهو أمر مشاهد ، والذي أتى به الحق . وقد ذهب الراغب إلى أن الإتيان إنما هو : المجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء ، ومنه قيل : للسيل المار على وجهه أتى وأتاوي . أما قوله تعالى : { فلما

جاء أمرنـا نجينا صالحا والـذيـن آمـنـوا مـعـه] هود: ٦٦] وقوله سبحانه { فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] [الأعراف : ٣٤] . فإن المتحدث عنه في الآية الأولى : هو العذاب ، وفي الآية الثانية هو : الموت ، وكأنه أمر مشاهد ، ولهذا يعبر القرآن الكريم عنهم بالحضور